في ذكرى أربعين غازي في باريس

مصرع الصقر

للأستاذ أمجد الطرابلسي

أقبل الليل من وراء الدهور ... بتهادى تهادي المخمور
ودعا الناب فاستكان إليه ... وسرت فيه رعشة الفرور
وسجا تحت جنحه بعيث النو ... م بأجفانه كطفل غرير
مثلما نام أزغب تحت جنح الأ ... م في ظل عشه المضفور
أقبل الليل مثل أجنحة العقبان أو وجه بائس مقهور
يسحب الخطو متعباً وبجر الذ ... يل جراً على بقايا النور
وغفا الناب لا زئير سباع ... يتعالى ولا هتاف طيور
ليس إلا النسيم يخطر هوناً ... خضل العطف مثقلاً بالعبير
يتشهى وسط السكون مطيفاً ... بفراش هنيئة ووكور
كطيوف الأحلام ترى خفاقاً ... حول عذراء في المهاد الوثير
يمسح الأعين الغيام رقيقاً ... بسلال الندى ونشر الزهور
ويهز الغصون حيناً فلا تسـ ... ـمع في الجو غير خفق الصغير
رقد الناب في حمى الليل عيا ... ن يسب الكرى بطرف قرير
وتلاقى الألاف فيه على الصفـ ... ـصر وناموا عن كامن المقدور
رقد الناب كله غير عينين تشعان في الدجى المنشور
شرد النوم عنهما في الدياجي ... فهما للسهاد والتفكير
تستفان عن خبآت الليالي ... وتفيثان حالكات الستور
يا فتى الصقور! أي مرام ... يتعبك يا فتى الصقور!
لف هذا الظلام أترابك الصيـ ... ـد ببرد من غبطة وسرور
أسلموا الأعين القريرة للحلـ ... ـم وناموا عن كامن المقدور
وسهرت الظلام في فروة الدو ... ح تدير الأحداق في الديجور
ترمق الناب تارة فتراه ... غارقاً في سكونه والسطور
وتناجي السماء حيناً فتبيـ ... ـك الدراري بالحديث المثير

* * *

جرد الصقر حوله من بياض الثلج ... جنحين في ائتلاق الثغور
وانبرى في الفضاء يخترق الليـ ... ـل بسيفيه كالشهاب المنير
زف كالبرق واعى بعده الغا ... ب وراء المدى وخلف البحور
ومضى في السماء يسمو إلى النجـ ... ـم بعزم وسط الظلام منير
أين تسمو يا صقر في حلكة الليـ ... ـل، وماذا يغريك بالتشمير؟
ما الذي نفر الرقاد وأذكى النا ... ر حرى في صدرك المصهور؟
الهايلة، يا رديف السماوا ... ت، تعلوت لجنحك المغرور
وتوارت عنك الدنى، وتواريت بعيداً عن طرفها المحسور
فإلى أين تطلح الجو يا صقـ ... ـر وقد آذن الثنا بسفور
وصفا الكون ليس تسمع فيه ... غير همس النجوم وسط الخدور
رايات إليك ترمق مجنحيـ ... ـك الطليقين في الفضاء السحير
يا منيراً على السحاب ترفق ... بجناحيك والشهاب الطرير
وبوكر تركته في حمى الفا ... ب مشوق لعطفك المغرور
رقدت زغبه وولیت عنه ... نحو حلم ضاف في الظلال نضير
أين تمضي كالسهم في نهج الأو ... جر وترقى في المعشب المهجور
لم تدع في الملاء بعدك فخاراً ... لصقور تسمو ولا لنسور

* * *

يا فتى الصقور قد هبت الريح ... فملأ سمعك صوت النذير
أعولت توقظ السحاب فتزجيـ ... ـه على لؤلؤ الدجى المنثور
أي حلم يغريك يا صقر حتى ... تتخطى إليه كل خطير؟
تركب الليل محو مراعب الوجـ ... ـه وتنفي عن شره المستطير!
يا كبير المنى! أما كل جنحا ... ك الفتيان في غلاب الأثير؟!
هل لمراك يا بعيد الأماني ... في الدجى من معرس أو مسير؟
اسم يا بن الطموح! ما كل صقر ... يطلب الزر فوق هام البدور
ليس كل الشباب يفرح بالمجـ ... ـد ويغتر بالطموح الكبير
اسم حتى يرضى غرورك يا صقـ ... ـر بما نال... عاش رب الغرور!
الشباب العظيم لا عاش يا صقـ ... ـر قنوعاً يرضى بكل حقير!
الشباب الكبير لا كان إما ... ضم عطفيه فوق قلب صغير!

* * *

جنت العاصفات واضطرب الليـ ... ـل ودوى فيه نذير الثبور
وتبارت فيه الأعاصير غضبى ... معولات تهزه بالزئير
تستحث الغيوم من كل فج ... كهضاب موارة وصخور
وترجى رحب الفضاء فما فيـ ... ـه شعاع لمدلج مستنير
وأفاقت عيون كل الفجاءا ... ت وماجت أرواح كل الشرور
وانبرى البرق يصدع الدجية العميـ ... ـاء صدعاً بلمحه المذعور
راسماً باللظى على صفحة الأفـ ... ـق وعيد القدر المسطور
والرعود الغضاب زلزلت الكو ... ن بصيحات ثائر موتور

فمضت في السماء تضحك للهو ... لِ وتُرخي كالشامت المحبور
لحظةً ثم فجّرَ السيلُ دكّا ... ما يجوبُ الدجى رهيبَ الهدير
تتلوّى حبالُهُ بيدِ الريح ... وتهمي بلا وَنًى أو فتور
يا لهولِ القضاء خلف الدياجي ... والأعاصيرِ صرعه المستور !...
ساعةً كالوجودِ في طولها الرّ ... (م) ودنيا العذّابِ والأسـور
مزّقَ الفجرُ هولها فتجلّتْ ... عن صفاءِ الضحى وحسنِ البكور
وإذا الناسُ أدمُعٌ ومناحا ... تٌ على مقرِهِ وأمير الصقور
حطمت جُنحه الأعاصير في الليـ ... ـل فيا روعةَ الجناحِ الكسير
ثم ألقتْ به الرياح إلى النا ... ب فيا لوعةَ الحمى المنذور ..

* * *

يا ابنةَ المجد والمآثرِ يا بغـ ... ـدادُ ! يا مفخرَ الخلود الفخور
وسّدي صقرك الصريع ضريحاً ... من جراحاتِ صدرك المفطور
واغمري بالزهور والنار نضراً ... قبرَ من عاشَ مُعشرَ كالزهور
واجعلي رمسَهُ منارَ البطولا ... تِ ورمزَ الهدى وكنزَ الشعور
فلقد كان حُلمنا العذبَ نرتو ... لِ سنا وجهِهِ الضحوك البشير
ولقد كانَ قرةً للمآقي ... ولقد كانَ خفقةً في الصدور
تتمنّى به القلوبُ تسابيحَ ... ويهفو إليه كلُّ ضمير

* * *

إيه بغدادُ ! أين مِنّيَ قبرٌ ... ثم أشلاءُ حُلمنا المذرور ؟!
أنا أبكي له غريباً فتنـ ... ـذا يُبلغُ القبرَ مدمعي وزفيري
في بلاد ، لا القومُ فيها يقوى ... فأعزّي، ولا القصورُ قصوري
ولو أني هناكَ حيثُ فؤادي ... هائمٌ وحدَهُ وراء البحور
في بلادي وملعبي وظلالي ... عندَ أهلي وجيرتي وعشيري
لنثرتُ الزهورَ من صدري الدا ... مي على قبرهِ الذكيِّ الطهور !

* * *

يا مليكي ! يا سيّدَ الشامِ إرثاً ... عن أبيهِ الظفّرِ المنصور
أرأيتَ الشامَ أذهلها الخطبُ ومادتْ لتيكَ المستشير
أسكتْ قلبها الطعينَ بكفّيها وصاحت كالصارخِ المستجير
نسيتْ جرحها البليغَ الدامي ... وشكايات صدرِها المصهور
ونيوبَ الدخيلِ تفتكُ فيها ... فتكةَ الذئبِ بالقنيصِ الأسير
وتلوّتْ عاطفةَ الثأرِ تبكي ... في مناحاتِ حُلمِها المقبور
طالما جمّعتْ لك الزهرَ النضـ ... ـرَ وهامتْ على ضفافِ الغدير
وقضتْ ليلَها تصوغُ لتاجا ... جٍ وتحمي في قيدها المجرور
لم تكن وهي تنسجُ التاجَ تدري ... أنّ مَنْ آمالها في البكور !
لهفَ نفسي يا شامُ يا ملعبَ الأبـ ... ـطالِ، يا مسرحَ الحسانِ الحور!
يا نشيدي في غربتي ولحوني ! ... يا حديثي في وحدتي وسميري !
أيّ أشباحِ الدواهي أناخي ... في الليالي وفي رُكادي النفور
تضحكُ الأرضُ والموالمُ حولي ... وأنا في مواجعي وسعيري
كم أتتْ بي إليكِ أخيلتي الهو ... جُ سراعاً في زحفها والكرور
تتخطى المدى فلا الموجُ يعتا ... قُ سُراها، ولا لهيبُ الهجير
بجناحَيْن من هوايَ وإشفا ... قٍ شديدَيْن في اختراقِ الأثير
يا بلادي موجي على نَغَمِ الهوْ ... لِ وغنّي وسْطَ الدمِ المهدور
واضحكي للعصابِ يقتحمُ النا ... بَ عسيراً على العصابِ العسير
أنا أبكيكِ إذْ أهَدهدُ بندا ... دَ وأرثي لضحكِكِ المكسور
أنتما في السفاءِ والدمعِ أختا ... نِ رَبيبا تمائمٍ وحجور
ثم تعليكما طموحٌ وآلا ... مٌ وأمجادُ أعصرٍ ودُهور

* * *

يا فقيداً بكى لمصرعه العُرْ ... بُ بدمعٍ ملءِ الجفون غزير
وحدةُ العرب كم سهرت تناجـ ... ـيها شوقاً لفجوها المنظور !
كم أقضّتْ جراحةُ العربِ جنبيـ ... ـكَ على مَهدكَ الهنيءِ الوثير
وشهدتَ الوعيدَ في أعين الذئـ ... ـبِ وكنتَ النصيرَ خيرَ نصير
ثم قروراً فوحدةُ العُرب صارت ... بسناها النجومُ كلُّ مسير
وحدةُ العربِ قد تضوّعَ في الجوّ ... شذاها مثلَ الخيالِ النضير
وحدةُ العربِ مزّقتْ حجبَ الليـ ... ـلِ وشمّتْ مِلءَ الفضاءِ المنير
ملأتْ شمسُها النهارَ فتذا ... ينكرُ الشمسَ غيرُ كلِّ ضرير؟
يا لهزلِ المستعبدين ! أنّى ... بأنِ أن ينظروا بعينٍ بصير
عبثوا والزمانُ جدٌّ وهاموا ... في سَواءِ الحُلمِ لهمْ مغرور
وأقاموا الحدودَ بينَ الأشقّا ... ءِ، فياحكمةَ العقولِ الصُور..!
أيها الساهرون للكيدِ في دُهْـ ... ـمِ الليالي ... يا خيبةَ التدبير!
قلّبوا الرأيَ كيفَ شئتم خداعاً ... واشتروا كلَّ خائنٍ مأجور
وابذلوا الوعدَ كاذباً، واقتلوا الحـ ... ـقَّ، وغشّوا الضحى بليلِ الزور
لن تنالوا المنى ولو قد أقمتـ ... ـم ألفَ سورٍ وراءها ألفُ سور !

* * *

أيها العربُ حيثُ كنتم من الأر ... ضِ، ومن كلِّ مربضٍ وعشير
جمعتنا الدموعُ في مأتمِ الصقـ ... ـرِ، وكم وحّدَ الأسى من شعور
وبكينا حيناً ولا خيرَ في الدمـ ... ـعِ إذا لم يثر بشكاةِ الصدور